https://doi.org/10.26682/chjuod.2023.26.1.96
مجلة جامعة دهوك، المجلد: 26، العدد: 1 (العلوم الانسانية والاجتماعية)، ص 1296-1305، 2023 (عدد خاص)
المؤتمر العلمي الرابع الموسوم "دور القانون والعلوم الإنسانية في حماية المرأة وتمكينها 1444 هـ -2023 م " ،جامعة دهوك 6 آذار2023

المشاكل الاجتماعية التي واجهت التعليم النسوي في العراق

انتظار نجم كوت
كلية الامام الكاظم (ع) ، اقسام واسط-العراق

(تاريخ القبول بالنشر:30 تموز، 2023)

الخلاصة:

لم يكتب عن المرأة في بلادنا بشكل يوضح الادوار التي ادتها، سواء كانت سياسية ام اقتصادية ام ثقافية ام اجتماعية، رغم اهمية تلك الادوار وما قامت به من اعمال، سيما وان كتبة التاريخ هم رجال ، فلم يذكروا الا قليلا عن بيان تاريخ المرأة في رسم معالم الحياة العامة للبلاد ، وذلك ليس لانهم لم يروا فيه مايستحق التسجيل ، وانما لانهم لم يرغبوا في تسجيل ما راوا ، لان من شانه– في نظرهم– ان يحط من قيمة ذلك الرجل ، فضلا عن ان احجام بعض المؤلفين عن الكتابة والترجمة عن معاصراتهم يعود لنوع القيم الاخلاقية التي كانت تسود مجتمعنا آنذاك، وهي قيم تعد الاشارة عن المرأة فضلا عن الحديث عنها، امرا مكروها لايجوز الخوض فيه، بوصفه يدخل في مضمار اسرار البيوت، وهو ماكان يرفضه المجتمع العراقي رفضا قاطعا.

ولم يكن التعليم سهلا بالنسبة للفتاة العراقية عامة بسبب سيادة العادات والتقاليد ، وعلى الرغم من عدم وجود نص قانوني يحول دون دخولها الى المدارس او المعاهد او الكليات، إلا أن مجرد تفكيرها بالدراسة كان يعد من قبيل المغامرة، بفعل العقبات الكثيرة التي تعترض الفتاة التي تنوي سلوك ذلك المجال .

كلمات الدالة:مشاكل ، المرأة ، التعليم

المقدمة

يتكون كل مجتمع من مجموعة من الوحدات الصغيرة التي تدعى بالعائلة، والعائلة تتألف من الأب والأم والأولاد، ولذلك فأن أصلاح المجتمع يبدأ بإصلاح تلك الوحدات، لاسيما المرأة كونها عماد الأسرة والركيزة الأساس في بناء العائلة .

تناول البحث المشاكل الاجتماعية التي واجهت التعليم النسوي في العراق، كون التعليم يمثل القاعدة الاساس التي استندت عليها النهضة النسوية في العصر الحديث، وتبلورت ازاءه مساهمتها في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، وسعى الى تشجيعها في هذا الاتجاه المفكرون والكتاب والمسؤولون في الدولة لكي تأخذ مكانتها الطبيعية في المجتمع .

اولا : أوضاع التعليم في العراق

إنحصر التعليم في العراق خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر على التدريس في الكتاتيب[1]، والمدارس الدينية ومدارس الطوائف الدينية ومدارس الإرساليات التبشيرية في مختلف الولايات العثمانية[2]، وكانت الدراسة في الكتاتيب تبدأ في سن السادسة، وكان الكتاب لايتطلب سوى معلم واحد في اغلب الاحيان يجيد الكتابة والقراءة، ويكون حافظا للقرآن الكريم وملما ببعض الاعمال الحسابية والاولية ،ولم تكن محددة بمدة زمنية وإنما اعتمدت على مقدرة الصبي على حفظ القران وسرعة تعلمه القراءة والكتابة، لذا فان مدة الدراسة قد تكون

سنة واحدة وربما تمتد إلى ثلاث سنوات[3]. واذا ما أظهر الطالب تفوقا يلتحق باحدى المدارس ليكمل تعليمه لكن أعداد هؤلاء كانت قليلة[4].

أما المدارس الدينية فقد سبقت تأسيس المدارس الحديثة، وامتداداً طبيعياً للمدارس الدينية المعروفة كالمدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية[5]، وكان لتلك المدارس الدينية أوقاف خاصة خصصت إيراداتها للانفاق عليها وعلى طلبتها واحتياجاتهم، أما عن طبيعة الدراسة في تلك المدارس فقد غلب عليها الطابع الديني، إذ ركزت معظم مناهجها على تدريس القران الكريم، وعلوم الحديث والفقه واللغة العربية والشعر العربي إلى جانب الفلسفة وعلم المنطق والفلك[6]. ويتوجب على المتقدم للدراسة في هذه الدراسة أن ينهي تعليمه في الكتاب، ولم يكن لتلك المدارس سقف زمني للتخرج[7]. وبعد اتقان الطالب لجميع العلوم النقلية والعقلية يحصل على (الاجازة) من اساتذته وشيوخه، وغالبا ما تمنح في احتفال يحضره الطلاب وجمهور من الناس[8]. وبعد افتتاح المدارس الحديثة، انخفض اقبال الطلبة على الدراسة في تلك المدارس، ومع ذلك استمرت تلك المدارس تمارس دورها التعليمي مع باقي مؤسسات التعليم الحديث[9].

إلى جانب الكتاتيب والمدارس الدينية، كانت هناك مدارس خاصة بأبناء الطوائف الدينية الاخرى ، وتقسم إلى نوعين الاولى مدارس الارساليات التبشيرية وهي المدارس التي اسستها الارساليات التبشيرية[10]، اذ إتخذت تلك الارساليات عدة وسائل لتحقيق أهدافها، كان التعليم أحد أهم تلك الوسائل وأخطرها . وقد اسست ارسالية الاباء الكرمليين التبشيرية مدرسة الاباء الكرمليين في بغداد عام 1734 التي كانت تدرس العلوم المختلفة فضلاً عن اللغات الفرنسية والعربية والتركية[11]. كما افتتحت الارسالية مدرستين في ولاية البصرة الاولى للبنين، أما ألاخرى فهي تلك المدارس التي اسهم بتأسيسها رعايا الدولة العثمانية ومن أبناء الطوائف المسيحية واليهودية، وكانت أوضاع المدراس التبشيرية أفضل من اوضاع المدارس الحكومية ففي الوقت الذي كانت الاخيرة تعاني من النقص والاهمال ، كانت المدارس التبشيرية تتمتع بدعم الحكومات الغربية[12]، فيما اسهمت نشاطاتها التعليمية بشكل أو بآخر في قيام حركة فكرية ، ففي الوقت الذي عملت فيه على ادخال اللغة العربية في تدريساتها، ادخلت ولاول مرة تدريس اللغات الاوربية ولاسيما الانكليزية والفرنسية فضلاً عن العلوم الحديثة كالاداب والصحة[13] . فكان ذلك أحد الاسباب الرئيسية في زيادة إقبال العراقيين على الدراسة في تلك المدارس . وفي محاولة من الدولة العثمانية للحد من تلك الظاهرة ، اصدرت نظارة (وزارة الداخلية) سنة 1886 قرارها القاضي بمنع التحاق الطلبة المسلمين بتلك المدارس ، ويبدو أن ذلك القرار دخل حيز التنفيذ، إذ لم تشر المصادر الرسمية العثمانية إلى وجود طلاب مسلمين في هذه المدارس[14].

وكان للطوائف والاقليات الدينية مدارس تولت الطوائف الدينية مسؤولية إدارتها والانفاق عليها إذ انتهجت الدولة العثمانية سياسة قائمة على إعتبار كل طائفة من الطوائف الدينية(ملة) قائمة بذاتها فمنحتها امتيازات خاصة من بينها حق تأسيس مدارسها الخاصة بها شرط حصولها على رخصة رسمية بذلك[15] .

وفي سنة 1869 خطا نظام التعليم في الدولة العثمانية خطوة يمكن عدها نقلة نوعية في ميدان الخدمات التعليمية من خلال صدور (نظام المعارف العمومية) الذي عد اول تشريع متكامل يوضع للتعليم المدني الحديث في الدولة العثمانية[16]. وبموجب ذلك القانون تم تشكيل مجلس عال للمعارف في العاصمة استانبول، ومجالس معارف في الولايات، أوكل اليها مهمة ادارة التعليم في الولاية، منها تنفيذ التعليمات والاوامر التي تصدرها نظارة المعارف ، ورفع التقارير السنوية ، التي يتم بموجبها تحديد عملية التعليم داخل كل ولاية واتباع افضل السبل لادارة عائدات المدارس وتحديد أوجه صرف تلك العائدات[17]، كما اعطى القانون حيزا كبيرا من الاهتمام

لموضوع تأسيس المدارس في الولايات حيث نص على تقسيم التعليم الى ثلاث مراحل ابتدائية ورشدية(متوسطة) واعدادية فضلاً عن المدارس السلطانية ومدارس الصنائع ودور المعلمين وبعض المدارس العالية. في حين صاغ القانون في مواد اخرى الشروط والضوابط اللازمة لتأسيس تلك المدارس[18] .

وفي الوقت نفسه نظم القانون كل ما يتصل بالادارة المالية لتلك المدارس، فعلى سبيل المثال نصت المادة (11) من القانون على ان تكون الدراسة الابتدائية والمتوسطة مجانية، اما عن مصاريف تلك المدارس فكان يجري استيفاؤها من الاهالي والمجلس المحلي وصندوق المعارف، في حين حصر القانون مسؤولية الصرف على المدارس الاعدادية بمجالس معارف الولايات، كما الزم القانون طلاب المدارس دفع اجور زهيدة[19]، وفي الوقت نفسه حدد القانون المناهج الدراسية لكل مرحلة[20]، فيما أجاز في مواد اخرى منه، استخدام العقوبات التأديبية تجاه الطلبة المخالفين الذين تراوحت اعمارهم بين التأنيب والتوبيخ والحرمان من الدرس والطرد بقرار من مجلس المعارف وحسبما يقتضي الحال[21] . كما افرد قانون المعارف بابا خاصا بالمدارس الاهلية والاجنبية[22].

تلقى طلاب تلك المدارس دروسا في مختلف العلوم الحديثة منها الاحياء والجبر والمثلثات والحساب والقانون والفلك والدين ومسك الدفاتر والاقتصاد والمعلومات المدنية والفيزياء والصحة والميكانيك . وفي أوائل القرن العشرين أدخلت المدرسة الاعدادية في بغداد تدريس بعض اللغات كالفرنسية والانكليزية والفارسية اضافة إلى العربية. أما عن نظام الامتحانات فقد كانت هناك امتحانات عمومية فضلاً عن وجود الامتحانات السنوية ،يتم اجراؤها بحضور لجان متخصصة[23].

ثانيا: الاوضاع الاجتماعية واثرها في تعليم المرأة العراقية

كانت المرأة العراقية أسيرة للقيود التي لا تعطي للمرأة قيمة بشرية، كما عانت من العقائد والتقاليد المتوارثة، فقد نظر إليها على أنها مخلوق اقل شأنا من الرجل، تتعرض للإهانة والإهمال منذ طفولتها فتنمو في أعماقها نواقص تتقوى جذورها وتمتد في نفسها حتى تستسلم وترضى بها، وظيفتها في الحياة لا تتعدى قيامها بالأعمال المنزلية وهي حبيسة الجدران الأربع، وإذا سمح لها بالخروج يتوجب عليها إن تلبس الحجاب، وكانت تعيش في عزلة تامة عن الرجال، ولم يكن يؤخذ رأيها في مسألة مهمة وهي الزواج فقد حرمت من اختيار زوجها سواء في المدن أم الأرياف وغالبا ما يكون زوجها من أقربائها[24].

ولم يكن للمرأة رأي في مسألة التعليم، حيث كان الوضع أشبه بما هو عليه في مسألة الزواج، فلم تملك المرأة من وسائل التثقيف والتعليم شيئا يذكر، وكانت فرصة التعليم للمرأة اقل من فرص الرجل واقتصر تعليمها على تعلم الخياطة والتطريز، وحرمت من تعلم القراءة والكتابة، ولعل عادات وتقاليد المجتمع العراقي آنذاك، تجد في خروج الفتاة من بيتها لأجل تعلم الكتابة والقراءة امرأ يؤدي إلى فسادها[25].

وهكذا ظلت حالة المرأة العراقية في وضع متخلف حتى أواخر القرن التاسع عشر، عندما دعا بعض المثقفين إلى تعليم المرأة، وفي مقدمتهم جميل صدقي الزهاوي[26] الذي لم يتجرأ على أكثر من المطالبة بفتح مدرسة للبنات، وتمت الموافقة على فتح المدرسة في ولاية بغداد[27]بعد موافقة مجلس المعارف ولاية بغداد على الرغم من المعارضة الشديدة من قبل المحافظين الذين اشترطوا عليه عدم إشراف إحدى الدور المجاورة على بناية المدرسة وأن لا تكون شبابيكها مطلة على الشارع وأن لا تكون في الدور المجاورة للمدرسة أشجار عالية بحيث تمكن الاخرين من التسلق عليها ورؤية الطالبات وهن في ساحة المدرسة, كان من بين الحاضرين الشاعر جميل صدقي الزهاوي كونه احد أعضاء مجلس المعارف , فبادرهم القول:"**بان شروطكم لا تنطبق سوى على بناية واحدة هي منارة سوق الغزل**" [28]،عد فتح تلك المدرسة حجر الأساس في حركة التعليم النسوي فقد بادرت بعدها الطوائف غير المسلمة بفتح مدارس على شاكلتها، تدرس اللغة العربية بجانب اللغات

الأجنبية ، ولم يقتصر إنشاء المدارس على بغداد فقد أنشأت مدرسة للإناث في البصرة وفي الموصل[29].

إما عند احتلال البريطانيين للعراق بعد اندحار العثمانيين فقد شهد وضع المرأة العراقية تغيرا لا بأس به تمثل في اختلاف نظرة البريطانيين لها مقارنة مع العثمانيين, ظهر ذلك الاختلاف في توجه البريطانيين نحو ضرورة تعليم المرأة العراقية, فبدأت أولى خطواتهم عام 1919 عندما تم الاتفاق على فتح أول مدرسة للبنات في عهد الاحتلال البريطاني[30].

وفي عهد الحكم الوطني، لم تحدث تغيرات اجتماعية ملموسة إذ كان التحسن الاجتماعي بطيئا، وبقيت البلاد تنوء بأعباء العهود السابقة، فقد ترتب على سيطرة البريطانيين على العراق مساوئ كثيرة شملت مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وكان من الطبيعي في تلك الظروف إن تستمر معاناة المرأة الناتجة عن تقاليد وعادات توارثها الآباء عن الأجداد[31]، من جانب اخر شجعت بعض الصحف على توعية المرأة وضرورة مطالبتها بحقوقها لاسيما حقها في التعليم، لان العلم يرفع من منزلة المرأة في المجتمع، وحقها في العمل فقد حرمت المرأة العراقية من النزول إلى ميدان الأعمال لتشارك الرجل حياته، ولأجل إن لا تكون عالة عليه في معظم الأحيان فتساهم في النفقات المنزلية وأمور الصرف وبذلك تقوى الأواصر العائلية بين الزوج والزوجة ، كما دعت تلك الصحف المرأة إلى تحطيم التقاليد الرجعية والأفكار البالية[32].

وفي الحرب العالمية الثانية أظهرت الرحالة البريطانية (فريا ستارك) [33] عند زيارتها العراق عام 1941 تعاطفها مع قضايا المرأة العراقية ، ويتضح ذلك من خلال مؤلفاتها العديدة ، فقد سجلت مشاهداتها لكثير من النساء اللاتي أرهقهن التعب من الذهاب إلى النهر لجلب المياه للشرب والغسيل بأواني معدنية تحمل على الأكتاف، كما أكدت على إن تعليم الإناث في العراق مختلف ، بحيث إن مدينة بغداد بكاملها لا يوجد فيها إلا مدرسة واحدة[34]. وان لم تكن فريا ستارك مصيبة في قولها عن وجود مدرسة واحدة للإناث في بغداد ، إلا أن ذلك يدل حتما على ندرة تلك المدارس آنذاك .

كانت هناك اختلافات واضحة بين شؤون المرأة في المدينة مع وضع المرأة في الريف ، فالمرأة في المدينة وان سمح لها بنسبة من التعلم والخروج، إلا إنها ظلت أسيرة للمتوارث من العادات فهي تخضع للسيطرة الأبوية بشكل كامل ، فلا يمنونها بغير الزواج الذي يصبح الهدف الوحيد في حياتها، فما إن تبلغ سن الرابعة عشرة حتى تطوى الفتاة صفحة حياتها ولا يحق لها التدخل في اختيار الزوج أمام تعنت الآباء وسطوتهم ، فتصبح وظيفتها في الحياة محدودة لا تتعدى المنزل، كما إن عدم اشتراك المرأة في الحياة العملية جعلها تتجه لأمور تافهة من زيارات فارغة ولهو غير ذي فائدة[35].

أما في الريف العراقي فقد كان زواج الفتاة يحصل بالقوة والإجبار، في اغلب الأحيان كان أهلها يجبرونها على الزواج في سبيل مصلحتهم وللحصول على المرأة التي وقع عليهم اختيارها، كما إن تعدد الزوجات أمر مألوف في الريف، والمرأة الريفية تقضي حياتها كلها في جهل وظلم وفقر، فلم تعرف معنى للراحة فهي تتنقل بين البيت والحقل وهي في عمل مستمر لا ينتهي يبتدئ منذ الصغر وحتى الممات، وشبهت المرأة الريفية بالآلة التي لا تقف، إذ ليس هناك من شيء يريحها عن عملها المرهق في الحقل تحت أشعة الشمس الحارقة، ثم تعود في آخر النهار لتنجز أعمال البيت وما إن يحل الليل حتى تنهمك في رعاية أطفالها، وما أن يحل الصباح حتى تبدأ بالطحن والخبز ورعاية الحيوانات الداجنة واستخراج الزبد والدهن واللبن، وهكذا تعمل دون إن تنال راحتها ، إن الفقر والجهل المسيطرين على المرأة الريفية منذ نشأتها جعلها لا تعرف في حياتها امرأ جديا غير الشرف[36]، لان اقل شبهة تأتيها وان كانت بعيدة عن الحقيقة فسيتم غسلها بالدم، أنها التقاليد الوحشية التي تقضي بذلك وليس الفضيلة هي الدافع للقتل، ولا يحق للبنت إن تحب حتى ابن عمها وإذا حدث وأحبته عندها منع زواجهما ، إن حوادث الشرف كثيرة

مألوفة لان القوانين تخول الرجل إن يقتل لأجل شرفه، كذلك يظهر الرجل انتقاصه للمرأة في اغلب الأحيان فهو إن ذكرها أمام الرجال يقول أجلكم الله أو تكرم عن طاريها ولا يدعوها باسمها[37].

ومن باب تثقيف المرأة العراقية والعمل على توعيتها وحثها على تحمل المسؤولية تجاه الوطن ، ولإطلاع المجتمع عامة والمرأة العراقية خاصة حرصت بعض الصحف على نشر مقالات عن دور المرأة في الدول الكبرى وما وصلت إليه في تلك الدول، حيث أثبتت المرأة الفرنسية أنها لا تختلف عن الرجل في الاستعدادات الفكرية والإمكانيات العملية فقد اشتهر نساء عديدات منهن في الطب والفلسفة وعلم الفلك كما ساهمن في التأليف والكتابة وتحرير الجرائد اليومية التي صدرت إبان تلك المدة[38]. فضلا عن مقالات جسدت دور المرأة البريطانية بوقوفها جنبا إلى جنب مع الرجل في الحرب العالمية الثانية، إذ اقتحمت المرأة البريطانية ميادين العمل التي لم تدخلها المرأة من قبل مثل الصناعات الحربية والخدمات الدفاعي، كما أظهرت جدارة عظيمة في الأعمال العسكرية مثل مراقبة طيران العدو وأعمال الإطفاء وإدارة المدافع المضادة للطائرات ونقل الطائرات من المعامل إلى المطارات العسكرية[39] .

التعليم الابتدائي :

لم ينل التعليم الابتدائي للبنات أي اهتمام من لدن الحكومة العثمانية، على الرغم من تأكيد قانون المعارف على ضرورة افتتاح مدرسة ابتدائية في كل ولاية او قضاء وحسب الحاجة[40]. لذلك لم يكن امام الراغبات بالتعليم من وسيلة سوى الالتحاق بمدارس البنين الابتدائية او مدارس البنات التابعة للارساليات التبشيرية [41].ولم يقتصر التعليم في الكتاتيب على الذكور فحسب، بل مارس بعض النسوة – الملايات– مهمة تدريس الفتيات ، إذ كانت الفتيات يتلقين دروساً في الأشغال اليدوية والمنزلية ، فضلاً عن الدروس الدينية[42].

اول مدرسة ابتدائية للبنات جرى افتتاحها في العراق فكانت في بغداد في عام 1899 [43]، أعقبها افتتاح مدرسة ابتدائية في منطقة العشار سنة 1902 . واستمرت الدراسة في تلك المدارس حتى دخول القوات البريطانية البصرة عام 1914[44]. اما بعد الانقلاب العثماني اتجهت انظار المثقفين العراقيين إلى الاهتمام بتعليم البنات عندما دعا عبد اللطيف ثنيان[45] إلى الاهتمام بمدارس البنات وزيادة عددها لاهمية ذلك في حياة الاسرة العراقية[46]. اعقبتها دعوة الشاعر جميل صدقي الزهاوي لتعليم المرأة وتحريرها من القيود الاجتماعية[47].

اما بعد انقلاب الاتحاديين 1908، فقد نشطت الجهود الرسمية لافتتاح العديد من مدارس البنات في بغداد، على اثر ذلك افتتحت اربع مدارس رسمية وهي الكرخ والبارودية وباب الشيخ والاتحاد والترقي التي تم افتتاحها سنة 1914[48]. كما شهدت ولاية الموصل في تلك المرحلة افتتاح اول مدرسة ابتدائية للبنات في محلة السرجخانة سنة 1912[49]، وفي احصائيات ما قبل الحرب العالمية الاولى ارتفعت اعداد مدارس البنات (الابتدائية والرشدية)، في الولايات العراقية الثلاث إلى 13مدرسة، 7مدارس منها في ولاية بغداد، 4 مدارس في ولاية الموصل ، واثنتان في ولاية البصرة[50].

تأثر التعليم النسوي في العراق بظروف الحرب العالمية الثانية في مختلف مراحله، وبعد نهاية الحرب اهتمت وزارة المعارف بزيادة اعداد المدارس والمعلمات لتوفير الفرص الكافية لتعليم البنات ونشطت لتحسين الظروف المعاشية والصحية للكادر التعليمي لكي يكون قادراً على اداء مهامه بشكل صحيح[51]، وفي بداية الخمسينيات ازدادت اعداد الطالبات والمدارس والكوادر التعليمية التي تشرف على سير العملية التربوية والتعليمية ، بفضل تحسن المستوى الاقتصادي للبلاد وتضاؤل القيود الاجتماعية التي كانت تحول دون ارسال اولياء الامور بناتهم الى المدارس [52]. وكان للوضع الاقتصادي السيئ لعدد كبير من الاسر العراقية اثرا كبيرا في عدم تطور التعليم

النسوي الابتدائي وعدم شموله لعدد كبير من شرائح المجتمع العراقي، سيما وان الدراسة في تلك المدارس لم تكن مجانية مما يعيق ارسال الاسر الفقيرة بناتها الى الدراسة فيها، في ظل مجتمع تسوده عادات وتقاليد لها اثرا كبيرا على معظم السكان في البلاد.

يمكن القول ان عملية تعليم المرأة مرت بادوار ومراحل مختلفة تأثرت بعاملين اساسيين هما الدين والسياسة . فضلاً عن العادات والتقاليد البالية، التي كانت تشكل حجر عثرة امام تطور تعليمها .واتساعه ليشمل مختلف الشرائح الاجتماعية التي يتألف منها المجتمع العراقي.

التعليم الثانوي:

اما التعليم الثانوي للبنات فقد كان متأخراً، ولم تنشأ مدارس للبنات بشكل يضاهي مدارس الذكور في البلاد[53]. لذلك توسعت وزارة المعارف العراقية بفتح المدارس الثانوية في مدينة بغداد فضلاً عن المدن العراقية الاخرى ، نظراً لحاجة البلاد لخدمات العنصر النسوي ، فكان هذا الاهتمام عاملاً مشجعاً لزيادة عدد الطالبات[54]. وارتفعت اعدد المدارس الثانوية في البلاد في العام الدراسي 1939 – 1940 الى15 مدرسة ، بعد ان كان 11 مدرسة في العام الدراسي 1937 – 1938 ، ثم ازدادت تلك الاعداد سنة بعد اخرى [55] .

استمر التوسع في المدارس الثانوية للبنات نتيجة للتطور العام في المجتمع العراقي في اعقاب الحرب العالمية الثانية على الرغم من العقبات التي واجهت التعليم النسوي[56]، فضلا عن رغبة الاهالي في اقامة المدارس لعدم كفاية المدارس الحكومية لاستيعاب الاعداد الكبيرة من البنات، بعد تضاؤل العقبات وانحسارها والشعور بأهمية التعليم للنهوض بمستوى المرأة لتأخذ دورها في الحياة الاجتماعية [57].

التعليم العالي:

ولم يكن الدخول في مجال التعليم العالي امراً يسيرا بالنسبة للبنت العراقية، والسبب الرئيس لذلك هو سيادة العادات والتقاليد، حتى اصبح مجرد تفكير الفتاة بالدراسات العليا اشبه بالمغامرة، نظرا للعقبات الكثيرة التي ستعترضها[58]. الا ان ذلك لم يمنع الفتاة البغدادية من المطالبة بإتاحة الفرص المناسبة لها في مجال التعليم فطرقت ابواب المعاهد العالية والكليات [59]. وتعد سنة 1933 بداية دخول العنصر النسوي للكليات في بغداد وتمثل ذلك بدخول الطالبة ملك غنام كلية الطب بعد صعوبات كثيرة لمعارضة عمادة الكلية الطبية ولم تحسم هذه المعضلة الا بعد تدخل الملك فيصل الاول واصداره امراً بذلك [60]. ثم تلتها الطالبة صبيحة الشيخ داود [61]. عام 1936 بدخولها كلية الحقوق [62].وفي عام 1943 كان هنالك احدى عشرة طالبة في كلية الحقوق واربعون طالبة في دار المعلمين العالية وست طالبات في كلية الطب[63] اما بعد نهاية الحرب العالمية الثانية فقد شهدت الحركة النسوية تقدما واضحا، اذ افتتحت العديد من الكليات والمعاهد في مدينة بغداد، ففي عام 1945 أسس معهد الملكة عالية[64]. واهتمت تلك الكليات بتشجيع العنصر النسوي للالتحاق بها ففي عام 1946 فتحت كلية الهندسة ابوابها لقبول الطالبات[65]. وفي عام 1949 دخلت (14) طالبة كلية الاداب والعلوم [66].

اسهمت المرأة العراقية سيما في العاصمة بغداد، في مجال الصحافة وشاركت في ذلك الاتجاه والشعراء والادباء لعلو شأنها ورقيها اسوةً برجال الصحافة المعروفين[67]، ومن اهم تلك الصحف مجلة فتاة العراق، مجلة تحرير المرأة، مجلة الرحاب، مجلة الام والطفل ومجلة الاتحاد النسوي[68]، كما اهتمت المرأة البغدادية بتأسيس الجمعيات والنوادي الثقافية والاجتماعية، انحصرت اهداف تلك الجمعيات على تقديم الاعمال الخيرية والانسانية، من ابرزها نادي المعلمات وجمعية الهلال الاحمر ساعدت على ابراز دور المرأة واعطتها المجال الرحب لكي تتبوأ مكانتها المطلوبة في المجتمع عن طريق المطالبة بحقوقها المشروعة في جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية[69] .

كان للصحافة النسوية دوراً كبيرا في ايضاح مطاليب المرأة

وحقوقها والدعوة الى انصافها، وركزت بشكل اساس وبارز على قضايا تثقيفها وتخليصها من العادات والتقاليد البالية لتجعلها عنصراً مساهماً في بناء المجتمع لكي تأخذ دورها الملائم في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية وتعدته الى السياسة اسوة بالدول العربية والاجنبية التي سبقت العراق في ذلك المضمار. كما اسهم ظهور فئة مثقفة من الفتيات في مدينة بغداد في اصدار الصحف والمجلات النسوية المتخصصة .

الخاتمة

من خلال البحث ظهر لنا ان التعليم النسوي في العراق قد اتسع بشكل تدريجي بعد ان مر بأدوار ومراحل مختلفة تأثرت بالعادات والتقاليد البالية التي وقفت امام رقيها وتعليمها ، بعد ان تخلى المحافظون عن افكارهم السلفية وادركوا النتائج المثمرة لتعليمها ومشاركتها للرجل في تحمل المسؤولية للقيام بدورها في المجتمع، وتجلى ذلك في دخولها المدارس والمعاهد والكليات ومشاركتها في اصدار الصحف وتأسيس الجمعيات والنوادي النسوية الثقافية والاجتماعية التي قدمت خدمات متنوعة في حقل الخدمة الاجتماعية .

ان دخول المرأة العراقية مجال التعليم ونزولها ميدان العمل، له أثر كبير وفاعل في تنامي وعيها بضرورة المطالبة بحقوقها المسلوبة, لكن تلك المطالب لا تتحقق دون مساندة بعض أصحاب الفكر التنويري كعلماء الدين والشعراء.

الهوامش

(1) سمي ذلك النوع من المدارس الذي أنتشر في أرجاء الدولة العثمانية بمدارس الصبيان ، التي كانت تقوم في الغالب في محلات ملاصقة للجوامع أو مستقلة عنها في مباني مشيدة لهذا الغرض أوكل إليها مهمة تحفيظ آيات القران الكريم وتعليم القراءة والكتابة وضبط الأخلاق. للمزيد ينظر: فاضل مهدي بيات ، (التعليم في العراق في العهد العثماني دراسة تاريخية في ضوء السالنامات العثمانية)، القسم الاول ، مجلة المورد ، المجلد(22) ، العدد الاول 1994 ، ص ص 33-34.

(2) غانم سعيد العبيدي ، التعليم الاهلي في العراق في مرحلتيه الابتدائية والثانوية تطوره ومشكلاته، مطبعة الادارة المحلية، بغداد، 1970 ، 33.

(3) خليل علي مراد ، (أوضاع التعليم في الموصل منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الاولى)، ندوة التعليم في الموصل، التي نظمها مركز دراسات الموصل بتاريخ 1998/11/11 ، ص 1 .

(4) ابراهيم خليل احمد (حركة التربية والتعليم والنشر)، مجموعة باحثين ، حضارة العراق، ج 11 ، بغداد ، 1985، ص 292.

(5) جبرائيل حنوش أصفر ، مختصر المستفاد في تاريخ بغداد ، مخطوط في د.م.ب تحت الرقم 1104 ، ص ص 172-173.

(6) يوسف عز الدين ، الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر ، دار المعارف،القاهرة ، 1977، ص ص 32-33.

(7) أحمد ابراهيم خليل ، تطور التعليم الوطني في العراق (1869-1932) ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، 1982، ص ص 27-28.

(8) سالم الحمداني ، التعليم في الموصل في القرن التاسع عشر، مجلة اداب الرافدين ، العدد (10)، اذار 1979، ص ص 429-430.

(9) أحمد ابراهيم خليل، المصدر السابق، ص 29.

(10) سلامة حسين موسى ، التبشير في العراق ، وسائله وأهدافه ، رسالة ماجستير ،كلية الشريعة ،جامعة بغداد ، 1985، ص 94 .

(11) جريدة الرقيب ، العدد 173 ، 9 شوال 1329 هـ/ 1911 م ؛ جميل موسى النجار ، التعليم في العهد العثماني الاخير 1869-1918 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 2001 ، ص ص 268-271.

(12) عبد الرزاق احمد النصيري ، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، 1990، ص74 .

(13) المصدر نفسه ؛ عبدالرزاق الهلالي ، معجم العراق، ج1،بغداد، 1953، ص229 .

(14) جميل موسى النجار، المصدر السابق ، ص263 .

(15) غانم سعيد العبيدي ، التعليم الاهلي في العراق في مرحلتيه الابتدائية والثانوية تطوره ومشكلاته، مطبعة الادارة المحلية، بغداد، 1970، ص43 .

(16) جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص380 .

(17) نوفل نعمة الله نوفل ، الدستور ، م1 ،بيروت، 1301هـ ، ص130- ص149 .

(18) نوفل نعمة الله نوفل، المصدر السابق ، ص162 .

(19) المصدر نفسه، ص ص 158-162 .

(20) حنان عيسى الجبوري، مشكلات ادارة المدرسة الثانوية في العراق، مطبعة الارشاد، بغداد ، 1970، ص ص 67-68 .

(21) نوفل نعمة الله نوفل ، المصدر السابق ، م2 ، ص 174 .

(22) المصدر نفسه ، ص ص 175-177 .

(23) نوفل نعمة الله نوفل ، المصدر السابق ، م2 ، ص163 .

(24) مجلة " الرابطة " ، السنة الثانية، العدد 5، 12 آب 1945، ص 102- 103 ؛ علاء الدين جاسم محمد، المرأة والتغير الاجتماعي في القطر العراقي، "كلية الآداب جامعة بغداد "، مجلة ، العدد 25، شباط 1979،ص549.

(25) طارق نافع الحمداني، المرأة وأثرها في المجتمع، بحث منشور ضمن كتاب حضارة العراق، ج10، بغداد ، 1985، ص235 .

(26) ولد جميل صدقي الزهاوي في بغداد يوم 18حزيران 1863. درس على يد أبيه وعلى أيدي علماء عصره، عين مدرسا في مدرسة السليمانية ببغداد عام 1885، ثم عين عضوا في مجلس المعارف عام 1887، ثم مديرا لمطبعة الولاية، ومحررا لجريدة الزوراء عام 1890، وبعدها عين عضوا في محكمة استئناف بغداد عام 1892، سافر إلى اسطنبول عام 1896، فأعجب بمفكريها وتأثر بالأفكار الغربية، عند عودته إلى بغداد عين أستاذا في مدرسة الحقوق وانتخب عضوا في مجلس المبعوثان مرتين، ونظم الزهاوي الشعر منذ نعومة أظفاره .كان الزهاوي جريئا في إبداء آرائه مما جلب عليه نقمة المعارضين، فقد تأثر بما أصاب المرأة العراقية وما جناه الرجال عليها من الذل والاحتقار وتكونت لديه فكرة تحرير المرأة العراقية بعد عودته من زيارة اسطنبول، ظل يناضل ويكافح في سبيل نهضة العراق ونسائه حتى توفي في 23شباط عام 1936. للمزيد من التفاصيل ينظر: يوسف عز الدين، شعراء العراق في القرن العشرين، ج1، مطبعة أسد ، بغداد ، 1967، ص 11-12.

(27) عبد الرزاق احمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق (1908-1932) ، مكتبة عدنان ، بغداد ،2012، ص158 .

(28) صبيحة الشيخ داوود, أول الطريق إلى النهضة النسوية, مطبعة الرابطة, بغداد, 1958, ص 45-46 .

(29) وفاء كاظم ماضي محمد، تطور الحركة النسوية في العراق (1921-1958)، اطروحة دكتوراه غير منشورة ،كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، 2000، ص21-22 .

(30) افتتحت المدرسة في الخامس والعشرين من كانون الثاني عام 1920, في حفل حضرته مديرة المدرسة وسيدات من ذوي الأسر المعروفة, فضلاً عن المس بيل التي أكدت في كلمتها بالمناسبة أن افتتاح المدرسة جاء بناءً على رغبات الناس, وإن إدارة المدرسة سوف تعمل على احترام العادات والتقاليد لذوي الطالبات ولن تسمح للرجال بدخول المدرسة, وتكون كادر المدرسة من أرسياك خانم نائبة للمديرة, والمعلمات زهرة خضر, نظيرة خانم, هلن سعدي خانم, شلن سعدي خانم, افتخار خانم, مادبلت خانم, وجميلة خانم, وضمت تلك المدرسة عدداً من الطالبات لم يزد على الثمانية فقط وحددت أجرة الدراسة بروبية واحدة في الشهر. للمزيد من التفاصيل ينظر ؛ محمد يوسف القريشي, المس بيل وأثرها في السياسة العراقية, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الآداب , جامعة بغداد, 1993, ص157-159 ؛ عبد الرزاق الهلالي, تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني 1914-1921, بغداد , 1975, ص172- 173.

(31) لم تكن مدة الاحتلال البريطاني طويلة إذا ما قيست بالمدة التي حكم فيها العثمانيين العراق ولذلك لم يكن من السهولة تغيير العادات والتقاليد التي تأصلت في المجتمع العراقي ، لاسيما وان المحتلين لم يستخدموا القوة لتغييرها، وبذلك فان أوضاع المرأة العراقية لم تتغير بفعل الطابع العشائري والتعصب الديني من جهة وتأثير الحكم البريطاني من جهة أخرى . للمزيد من التفاصيل ينظر: فاهم نعمة إدريس ، المصدر السابق ، ص208.

(32) " الرابطة "، السنة الثانية ، العدد 5، 12 آب 1945، ص102-103 .

(33) ولدت فريا مادلين ستارك في باريس عام 1893 عندما كان والديها يدرسان الفن هناك، هي من أشهر كاتبات الرحلات الأوربيات اللاتي قصدن الشرق العربي، لم تحصل على تعليم رسمي فقد كانت كثيرة التنقل بصحبة والديها، يقال أن جدتها قد أهدتها في عيد ميلادها التاسع كتاب ألف ليلة وليلة وهو سبب حبها للشرق، التحقت عام 1911 بكلية بيدفورد في لندن ، وفي الحرب العالمية الأولى عملت في وزارة المعلومات البريطانية في كل من القاهرة وعدن وبغداد ، كانت بدايات رحلاتها إلى الشرق الأوسط عام 1927، وعند قيام الحرب العالمية الثانية كلفت بمهمة نشر الدعاية للحلفاء، توجهت من عدن إلى العراق عندما تفاقمت الأحداث السياسية في العراق عام 1941، أسست نادي(إخوان الحرية) في تموز 1942 بدعم من بريطانيا . للمزيد من التفاصيل ينظر: ابتسام حمودي محمد الحربي، فريا ستارك وأثرها السياسي والاجتماعي في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية، جامعة تكريت . 2005 ؛ سالم الالوسي، موجز حياة فريا ستارك Freya stark ، " الحكمة "، مجلة، العدد 22، شباط 2003، ص73 ؛ "نهرايا "، العدد 5، شتاء 2014، ص90،95 .

(34) صباح مهدي رميض، دراسات في التأريخ الحديث والمعاصر،دار الثقافة والنشر الكوردية، بغداد، 2014، ص110-112 .

(35) " الرابطة "، السنة الثانية، العدد 5، 12 آب 1945، ص103 .

(36) المصدر نفسه ، ص104 .

(37) الرابطة"، السنة الثانية ، العدد 5، 12 آب 1945 ، ص 104 .

(38) المصدر نفسه ، السنة الأولى، العدد8، 16 تموز 1944، ص186-187 .

(39) " الرابطة "، السنة الأولى، العدد 17، 9 كانون الثاني 1945، ص397 -398 .

(40) الدستور ، المصدر السابق ، م2 ، ص158 .

(41) إتخذت هذه الارساليات عدة وسائل لتحقيق أهدافها ، كان التعليم أحد أهم تلك الوسائل وأخطرها . وقد اسست ارسالية الاباء الكرمليين التبشيرية مدرسة الاباء الكرمليين في بغداد سنة 1734 التي كانت تدرس العلوم المختلفة فضلاً عن اللغات الفرنسية والعربية والتركية . وعلاوة على ذلك قأم الاباء الكرمليون بانشاء عدة مدارس ابتدائية لتعليم البنات ، وكان بعضها مختلطاً . في حين افتتحت هذه الارسالية مدرستين في ولاية البصرة الاولى للبنين والثانية للبنات جرى إفتتاحها سنة 1906 . للمزيد ينظر: جريدة الرقيب ، العدد 173 ، 1911 ؛ ابراهيم خليل احمد ، (جريدة الزوراء البغدادية مصدراً لتاريخ العراق الحديث 1869-1914) ، بغداد ، 1990، ص404؛جميل موسى النجار ، المصدر السابق ، ص ص 268-271.

(42) غانم سعيد العبيدي ، التعليم الاهلي في العراق في مرحلتيه الابتدائية والثانوية تطوره ومشكلاته، مطبعة الادارة المحلية، بغداد، 1970 ،ص 33.

(43) عبد الرزاق احمد النصيري، دور المجددين في الحركة الفكرية والسياسية في العراق (1908-1932) ، مكتبة عدنان ، بغداد ،2012، ص158 .

(44) لم يتجاوز عدد تلميذات هاتين المدرستين (31) تلميذة سنة1329 هـ/ 1911 ، ساطع الحصري ، مذكراتي في العراق1921-1927، ج1، دار الطليعة، بيروت ،1967، ص116 .

(45) عبد اللطيف ثنيان :صحفي رائد، وأديب، ولد في بغداد سنة 1867 ، أصدر في سنة 1909 جريدة الرقيب، توفي سنة 1940 . حميد المطبعي، موسوعة أعلام القرن العشرين، ج2 ، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، 1996) ، ص 150.

(46) النصيري ، المصدر السابق ، ص137 .

(47) طارق نافع الحمداني ، ملامح سياسية وحضارية في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، ط1 ، الدار العربية للموسوعات، (بيروت ، 1989) ، ص ص76 . 77 .

(48) مجلة لغة العرب ، المجلد (3) ، الجزء (7) ،كانون الثاني 1914 ، ص392 ؛ جريدة صدى بابل ، العدد 220 ، 24 كانون الثاني 1332 هـ/ 1914 م .

(49) الهلالي ، تاريخ التعليم في العراق ..، هامش ص181 (وقد تعلق الامر بالهيئة التدريسية لهذه المدرسة فتألفت سنة 1325هـ/1907م من معلمة اولى فاطمة خانم ، معلمة ثانية زهراء خانم ، معلمة ثالثة بثينة خانم ، للتفاصيل انظر س . و . م لسنة 1325هـ/1907م ، ص 158 .

(50) الحصري ، مذكراتي في العراق ..، ص118 .

(51) (1)Freya stark , Baghdad stetches , London , 1946 , P.55.

(52) الحكومة العراقية ، وزارة الاقتصاد ، المجموعة الاحصائية السنوية العامة لسنة 1957 ، ص50 .

(53) طارق نافع الحمداني ، الحركة النسوية ، بحث ضمن كتاب حضارة العراق ، ج13 ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1985 ، ص186 .

(54) حنان عيسى الجبوري، مشكلات ادارة المدرسة الثانوية في العراق ،مطبعة الارشاد ،بغداد، 1970، ص123.

(55) الحكومة العراقية ، وزارة المعارف ، التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة 1939 – 1940 ، ص25 .

(56) صبيحة الشيخ داود ، المصدر السابق ، ص137 .

(57) عبد الرحمن سليمان الدربندي،المرأة العراقية المعاصرة ، ج1 ، مطبعة دار البصري ، بغداد، 1968، ص52-53 .

(58) طارق نافع الحمداني ، الحركة النسوية ، ص188 .

(59) المصدر نفسه .

(60) صبيحة الشيخ داود ، المصدر السابق ، ص60 .

(61) صبيحة الشيخ داود (1915-1975) : وهي صبيحة الشيخ احمد الداود ولدت في مدينة بغداد عام 1915 ، وتعلمت في الكتاتيب ثم دخلت كلية الحقوق عام 1936 ، وكانت الطالبة الوحيدة في الكلية وتفوقت على اقرانها وسميت المحامية الاولى في العراق مارست المحاماة وعينت مفتشاً في وزارة المعارف وفي عام 1956 ، عينت قاضياً وعضواً في محكمة الاحداث واصدرت كتابها اول الطريق الى النهضة النسوية اسهمت بتأسيس الجمعيات والنوادي الثقافية وكتبت في الصحافة توفيت في بغداد يوم 11 تشرين الثاني 1975 .ينظر:جعفر الخليلي ، هكذا عرفتهم ، ج5 ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، 1980 ، ص

ص229-263 .

(62) المصدر نفسه .

(63) طارق نافع الحمداني ، الحركة النسوية ، ص188 .

(64) وفاء كاظم ماضي محمد، تطور الحركة النسوية في العراق 1921-1958 ، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية – ابن رشد –، جامعة بغداد ،2000،ص188.

(65) صبيحة الشيخ داود ، المصدر السابق ، ص81 .

(66) عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، ج1 ، ص259 – 260 .

(67) عباس العزاوي، الادب العربي المعاصر في العراق بعد العهد العثماني 1917 –1946 ، مخطوط محفوظ في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم 54 ، ورقة 24 – 26 .

(68) شكرية كوكز خضر ناصر السراج ، المصدر السابق ، ص60 .

(69) منها نادي المعلمات الذي اسس في عام 1932 ، وجمعية الهلال الاحمر عام 1933 ، وجمعية بيوت الامة عام 1935 ، وجمعية مكافحة العلل الاجتماعية عام 1937 .

SOCIAL PROBLEMS FACING WOMEN'S EDUCATION IN IRAQ

INTETHAR **N**AJIM **K**UT
Imam AI-Kadhim College/Wasit Departments

ABSTRACT:

in our country, it did not write about wome in a way that clarifies the roles they played, whether political, economic, cultural or social, despite the importance of those roles and the work they did, especially the history writers are men, so they only mentioned a little about the history of women in drawing landmarks of the public life in our the country, and that is not because they did not see in it what deserves to be recorded, but rather because they did not want to record what they saw , because it would - in their opinion - degrade the value of that man, in addition to the reluctance of some authors to write and translate about their contemporaries due to the type of values The morals that prevailed in our society at the time, and these are values that consider referring to women, as well as talking about them, to be a hateful matter that cannot be delved into, as it enters the domain of household secrets, which was categorically rejected by Iraqi society.

Education was not easy for the Iraqi girl in general because of the prevailing customs and traditions, and despite the absence of a legal text that prevents her from entering schools, institutes or colleges, her mere thought of studying was considered an adventure, due to the many obstacles that confront the girl who intends to follow that field.

KEYWORD: Problems ,Women ,Education